(تابع) الحملة الفرنسية العسكرية على الجزائر 1830-(2)

-3-الحصار البحري الفرنسي للجزائر(1827-1830):

ماهي الظروف المحيطة بفرض الحصار البحري الفرنسي على الجزائر؟و تداعياته عليها؟

3.1.دوافع الحصار:

- أثمرت المفاوضات التي دارت بين فرنسا والجزائر بالتوقيع على اتفاقية في يوم1819/10/28، اعترفت بموجبها فرنسا بالديون الجزائرية التي في ذمتها، و المقدرة بحوالي سبعة ملايين فرنك، يدفع مشاهرة (شهريا) في ظرف عام ابتداء من مارس1820م، إلا أن فرنسا لم تكن قادرة على تسديد الدين بسبب عجزها المالي، لذلك لجأت إلى كثير من الحيل والمماطلة. و لما أصر الداي على ضرورة التصفية النهائية للديون، فكرت هذه الأخيرة في إزاحة الداي من الحكم ،حتى تتخلص من الديون، و لا يتأتى ذلك إلا بفرض الحصار الذي سيدفع بالأهالي إلى السخط على حاكمهم و الإنقلاب عليه ، و من ثمة يتشكل واقع إداري و سياسي جديد بالجزائر يحدث القطيعة مع الماضي،و يكون في صالح فرنسا. و في هذا الصدد كتب الأستاذ الجزائري أرزقي شويتام قائلا:"و كان هدف فرنسا من ذلك الحصار،إحداث مجاعة في البلاد و إثارة مشاعر سكان الجزائر ضد السلطة الحاكمة،لعل ذلك يؤدي إلى الإطاحة بالداي و إجباره على قبول شروط فرنسا"

-تطلع فرنسا لتدعيم نفوذها بالجزائر،مستغلة أوضاعها غير المستقرة سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا،لإرغامها على إعفاء التجار الفرنسيين من الرسوم الجمركية.

-ثورات اليونان خلال العشرينيات القرن 19 المطالبة بالانفصال و الاستقلال عن الدولة العثمانية،التي لقيت كل الدعم المعنوي و السياسي و الدبلوماسي و العسكري من قبل القوى الأوروبية المسيحية،و كانت الجزائر قد وقفت إلى جانب الدولة العثمانية في مواجهة هذه الثورات،و فقدت أفضل سفنها و خيرة بحارها في معركة نافرين 1827،فأسهمت بذلك في ضعف البحرية الجزائرية بشكل رهيب، و من ثمة عجزها عن صد الحملات الأوروبية المستهدفة الجزائر خلال العقدين الأوليين من القرن19، مما شجع فرنسا على محاصرة الجزائر لإشغالها عن تقديم مساعدات عسكرية أخرى للدولة العثمانية المنهمكة بإخماد الثورات المستهدفة لنفوذها في البلقان(الجنوب الشرقي من أوروبا)،سيما و أن فرنسا كانت طرفا في الحلف الأوروبي التي تشكل منها ومن انجلترا و روسيا للضغط على الدولة العثمانية حتى تعترف باستقلال اليونان .

-اضطراب أوضاع فرنسا الداخلية السياسية و الاجتماعية،بعدما أقدم ملك فرنسا شارل العاشر(1824-1830) على إلغاء الحرس الوطني،و تقييد الحريات الفردية و الصحافة،إضافة إلى معاناتها من الإفلاس المالي،لذلك شكلت هذه الظروف دافعا قويا لفرض

الحصار على الجزائر بهدف إشغال الرأي العام الفرنسي بأحداثه و تطوراته،و إيجاد حلول لمشاكل فرنسا على حساب الجزائر.

-محاولة فرنسا سد الطريق في وجه الدول الأوروبية الطامعة في ثروات الجزائر و خيراتها ،لاسيما انجلترا الراغبة في الحصول على المزيد من الامتيازات، و تقوية نفوذها التجاري في الجزائر، لذلك اعتقدت فرنسا بأن الحصار سيمكنها من الإنفراد بالجزائر، و تحقق أحلامها في السيطرة عليها، و استغلالها من كل الجوانب.

2.3. وقائع الحصار:

كان أول رد فعل للجزائر إزاء الحصار الذي أعلنته فرنسا ضدها بداية من 16 جوان 1827، في مطالبة الداي حسين من باي قسنطينة(الحاج أحمد باي) بالاستيلاء على المنشآت الفرنسية الواقعة في عنابة و القالة ، و بدورها فرنسا كلّفت الجنرال الفرنسي LOVERDO لوفيردو بإعداد مشروع استعماري يتوفر على معطيات تاريخية و جغرافية و إحصائية و عسكرية، التي تمكن فرنسا من القيام بحملة عسكرية ضد الجزائر، غير أن هذا المشروع لم يجسد، لإنشغالها بحوادث اليونان، وفراغ المخازن من الأسلحة ووجود الأسطول الفرنسي في اليونان ،لذلك اقتنعت في الأخير بفرض الحصار على الجزائر بهدف قطع التموين عليها، وبالتالي اضعافها اقتصاديا و اجتماعيا و عسكريا و من ثمة تمهيد الطريق لغزوها عسكريا،و من أهم وقائع هذا الحصار:

* المعركة البحرية التي جرت أمام ميناء الجزائر 4 أكتوبر1827، بين الأسطول الفرنسي (المكون من 12 سفينة) بقيادة الضابط كولي، و الأسطول الجزائري(المكون من 11 سفينة)) الذي حاول فك الحصار، وإبعاد قطع العدو البحرية عن السواحل الجزائرية، انتهت المعركة باضطرارالعدو إلى التراجع عن ميناء الجزائر،أنظرا لصمود الجزائريين الذين تعرضت سفنهم لإضرار جسيمة
* اشتباك بحري وقع بين الطرفين في يوم 25 أكتوبر 1828 بالقرب من رأس كاكسين caxine،غرب مدينة الجزائر تمكن من خلاله الفرنسيين من تدمير أربع سفن جزائرية.
* تعرض السواحل الغربية الجزائرية لغارات بحرية حربية فرنسية،على غرار ما تعرض له ميناء وهران في يوم22 ماي1828م، قام بتنفيذها القبطان روبير وأندري دونسياRobert et Andrè de Naciat، أسفر هذه الغارة عن استرجاع الفرنسيين لإحدى سفنهم التي فقدوها من قبل.
* كما أن السفن الفرنسية الحربية لم تتوقف طوال فترة الحصار عن مراقبة الموانيء الجزائرية ،وتوقيف السفن المشبوهة،و حجز بعضها.كل ذلك بهدف قطع التموين على الجزائر.

ما يلاحظ على الموقف الجزائري من الحصار أنه كان سلبيا إلى حد ما،من خلال أن السلطة الحاكمة بالجزائر افتقرت إلى خطة محكمة تمكنها من فك الحصار المضروب عليها

بالقوة العسكرية،سيما و أن الأسطول الجزائري ظل يعتمد على عنصر الدفاع ،عوض الهجوم و ملاحقة العدو في عرض البحر حتى يتم دحره هذا من جهة ،و من جهة أخرى أن الأيالة لم توفق في توظف العمل السياسي و الدبلوماسي في كسب مواقف القوى الأوروبية لاسيما بريطانيا، و ذلك بإغرائها عن طريق الامتيازات ، لمجابهة الحصار الفرنسي المضروب عليها.

إن سلبية موقف الجزائر هو نتيجة حتمية لتراجع قوتها البحرية و بشكل مقلق منذ بداية القرن 19م،و عدم مبالاة الجزائريين و في مقدمتهم السلطة الحاكمة بالحصار،لاعتقادهم بأنه سيمنى بالفشل الذريع على غرار الحملات العدوانية الأوروبية التي استهدفتهم من قبل، ،ضف إلى ذلك أن الظروف الحرجة التي أصبحت عليها الدولة العثمانية -صاحبة السيادة الإسمية على الجزائر- حالت دون دعمها عسكريا في مواجهة الحصار و فكه.

3.3.انعكاسات الحصار:

-شل التبادل التجاري بين الجزائر و أوروبا،و أدى بذلك إلى توقف الصادرات الزراعية الجزائرية ،في مقدمتها الحبوب،فتدهورت الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية لسكان الأرياف بعدما لجأت السلطة الحاكمة إلى إرهاقهم بالضرائب لتعويض نضوب مصادر الدخل،إضافة إلى الخسائر البشرية و المادية التي ألحقتها البحرية الفرنسية بالبحرية الجزائرية.

- انكشاف ضعف السلطة الحاكمة و قصورها في مجابهة الحصار و فكه لدى الأهالي،أمام التفوق البحري الفرنسي من المهارات الحربية و التقنيات،فتولد عن ذلك أزمة ثقة بين الأهالي و السلطة.

-أثر سلبا على اقتصاد فرنسا،حيث كانت تكاليف الحصار تقدر سنويا بحوالي سبعة ملايين فرنك ،و أودى بحياة الكثير من خيرة جنود البحرية الفرنسية ،و في مقدمتهم الأميرال كولي في 1827/10/20 بسبب الإجهاد و الأعمال الشاقة و المضنية التي كان يقوم بها الجنود.كما أدى إلى انقسام موقف ساسة فرنسا بين المؤيد لاستمرار الحصار و الرافض له.

-أتاح الفرصة لفرنسا لكي تتخلص من بريطانيا المنافسة لها على الجزائر،و هيأ لها الظروف الملائمة لإحتلال الجزائر،من خلال انكشاف ضعف الجزائر و الموقف السلبي للدولة العثمانية من الحصار،و انشغال بقية الدول الأوروبية بمشاكلها الداخلية

بعد فشل الحصار في إرغام الداي حسين على تقديم الاعتذار ،و في ظل تصاعد قوة المعارضة السياسية الليبيرالية ضد نظام شارل العاشر و عائلته آل بوربون،قررت فرنسا خلال شهر جانفي 1830 شن حملة عسكرية على الجزائر.